الأخلاق الصالحة والعادات النافعة

من إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الدعوة والإرشاد الديني
قسم الدعوة والإرشاد

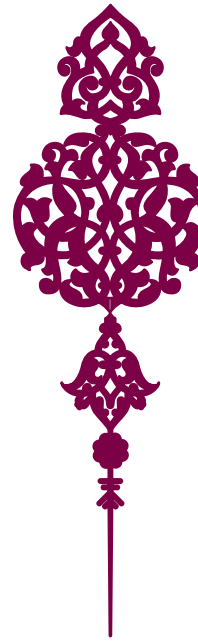

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate Of Endowments

تعريف بـ..
الإدارة العامة للأوقاف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مما لا شك فيه أن **نظام الوقف في الإسلام** قد أدى دوراً بارزاً في إقامة مجتمع إسلامي حضاري يُحتذى به، تجلت فيه روح الأخوة الإسلامية التي تأسست على المبدأ النبوي المبارك : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً » رواه مسلم.

وقد ساهمت **«الأوقاف»** في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي على تثبيت الدين في نفوس المسلمين، وحماية الدعوة الإسلامية، وضمان استمرار مسيرتها في البذل والعطاء.

وجاءت النصوص الشرعية لتؤكد على دور الوقف وأهميته في حياة الأمة منها: قوله تعالى :﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾ (آل عمران: ٩٢).

وتعد الإدارة العامة للأوقاف في الواقع الفعلي من أقدم المؤسسات المدنية في دولة قطر بالنظر إلى الحجج الوقفية المسجلة منذ العقود الأولى من القرن الماضي حيث ارتبطت بالقضاء الشرعي لأسباب تتعلق بالإنشاء والمنازعة والإدارة.

أهداف الإدارة العامة للأوقاف:

- إدارة شؤون الأوقاف والإشراف عليها وتنظيمها .
- استثمار أموال الأوقاف وتطويرها وتنمية إيراداتها على أسس اقتصادية.
- الإشراف على الأموال الموصى أو المتبرع بها لمصرف من مصارف البر.
- العمل على تشجيع وقف الأموال على جهات البر وتوسيع نطاق الأوقاف الخيرية.
- إقامة المساجد والترخيص بها حسب احتياجات المناطق المختلفة، والعمل على صيانتها وتأثيثها، والمحافظة عليها ورعاية جميع شؤونها.

اختصاصات المصارف الوقفية :

-إحياء سنة الوقف من خلال تبني مشاريع تنموية للوفاء باحتياجات المجتمع.
- التعريف بالوقف و مشروعاته وتشجيع أهل الخير على وقف أموالهم في أوجه البر المختلفة.
- اقتراح أوجه صرف الأموال الوقفية وتطبيق شروط الواقفين .
- استقبال طلبات المساعدة من الجهات والأفراد وإجراء الدراسات اللازمة لبحثها والبت فيها.
- التعرف على رغبات المتبرعين واحتياجاتهم من المشاريع الوقفية وتوجيههم وإرشادهم إلى المجالات الأولى والأكثر إلحاحا للوقف عليها.
- إدارة البيوت الوقفية الخيرية المجانية .
- تعميق التواصل مع الواقفين وتوثيق العلاقة مع المستفيدين من مشاريع الأوقاف.
- ترويج و تسويق مشاريع الأوقاف من خلال الاستعانة بكافة الوسائل الإعلامية المتاحة.

وأما المصارف الستة فهي:

١- المصرف الوقفي لخدمة القرآن والسنة.

٢- المصرف الوقفي لرعاية المساجد.

٣- المصرف الوقفي لرعاية الأسرة والطفولة.

٤- المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية.

٥- المصرف الوقفي للرعاية الصحية.

٦- المصرف الوقفي للبر والتقوى.

وقد هيأ الله لإحياء هذه السنة المباركة رجالاً على **رأس الإدارة العامة للأوقاف**. وذلك بمبادرة ودعم أهل الخير من أبناء هذا البلد الطيب، وأثمرت هذه الجهود المباركة عن تأسيس: «**المصارف الوقفية**» التي ساهمت بجهود طيبة ولا زالت - في دعم الأنشطة والمشروعات الدعوية المتنوعة بالإضافة إلى أوجه البر الأُخرى.

ومن هذه الأنشطة التي دعمتها المصارف الوقفية «**كتيبات قسم الدعوة والإرشاد**» لذلك يطيب لنا أن نتوجه بخالص شكرنا وتقديرنا للإخوة القائمين على «**المصارف الوقفية - بالإدارة العامة للأوقاف**»، كما يطيب لنا أن نتوجه بالدعوة إلى أهل الخير والعطاء والبذل في سبيل الله سبحانه وتعالى في هذا البلد الطيب المعطاء - أن يبادروا - إلى دعم مشروعات «**المصرف الوقفي للبر والتقوى**» وغيره من المصارف الوقفية الأخرى التي يُشرف عليها ويُديرها **قسم المصارف الوقفية - الإدارة العامة للأوقاف** - بدولة قطر.

وفقكم الله وبارك على طريق الخير خطاكم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الإصدار

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ هكذا وصف الله حبيبه محمدا ﷺ وهكذا أراد الله أن يكون قدوتنا ممتطيا صهوة الأخلاق كما يمتطي صاحب الجواد جواده ، لِيَظْهَرَ لكلّ رائح أو غاد يتطلع للأخلاق الزكية ، والسجايا الكريمة فيعرف بذلك أسوته الحسنة ، ويتبع خطاه ويسير على دربه ،ولطالما سعدت الأمّة الإسلامية بأخلاق النبي الكريم ﷺ حتى غزاها الأعداء فبدلوا أخلاقها ،وكدروا صفوها ، وها نحن نتلمس الطريق في هذه الوريقات لنضيء الدرب ، ليرجع من فَارَقَ ، ويزداد هدى من تمسك بها ، وإننا في إدارة الدعوة والإرشاد الديني نشكر كلّ من ساهم في هذه الإصدارات كتابة ومراجعة وتصحيحا ونشرًا ، سائلين الله تعالى أن يجعله في ميزان حسنات الجميع .

كما نتوجه بالشكر إلى كافة المسئولين بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية على دعمهم الدائم للعمل الدعوي بكل نشاطاته .

والله نسأل أن يوفق الجميع لمرضاته ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وله الحمد في البدء والختام .

إدارة الدعوة والإرشاد الديني
قسم الدعوة والإرشاد

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي يهدي لأحسن الأخلاق لايهدي لأحسنها إلا هو، ويصرف عمن يشاء سيء الأخلاق لايصرف سيّئها إلاّ هو ، والصّلاة والسّلام على الصّادق الأمين ، صاحب الأخلاق الزّاكية ، أثنى عليه ربه في كتابه الكريم، ووصفه بالخلق العظيم وعلى آله وصحبه الأجلّة المكرّمين ، وزوجاته الطاهرات أمّهات المؤمنين ثمّ أما بعد :

فإنه لما كانت الأخلاق قِسَماً ربانية ، ومنحا إلاهية ، ورزقًا يعطيه الله من يشاء من عباده ،ودرجة ترفع العبد ليكون جليسا للحبيب محمد ﷺ يوم القيامة ، وهو الذي قال : « إن من أحبكم إليَّ ، وأقربكم منّي مجلسا،يوم القيامة :أحاسنكم أخلاقا...» [1] ارتأينا أن نكتب لك أيها المسلم في بعض تلك الأخلاق تذكيرا للمؤمنين ،وتثبيتا للمتمسكين بهدي ربّ العالمين ، فإنّ الأمم بأخلاقها لابأموالها وأعلاقها :

إنما الأمم الأخـلاق مابقيـــت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وكما قال الآخر :

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتمـــا وعـــويلا

فكن على بينة من طريق نبيك ﷺ وقدوتك في أخلاقك ومعاملاتك،لاسيما وأن كثيرا من شباب الإسلام وفتياته ، قد انجرفوا

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨).

وراء تيار التغريب الذي أفقدهم بعض تلك الأخلاق الربانية التي كان آباؤهم وأمهاتهم يزيّنون بها حياتهم ، كالحياء والكرم والتواضع وغيرذلك مما هو حري التمسك به ، والآن تعال معي لنبدأ في بيان المقصود .

المحافظة على الأخلاق الإسلامية :

الحـياء :

الحياء في اللغة : تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب والترك إنما هو من لوازمه .

وفي الشرع : خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق [١].

«الحياء دليل الدين الصحيح ، وشاهد الفضل الصريح ، وسمة الصلاح الشامل ، وعنوان الخير الكامل ، لايأتي إلا بما يصلح ويجمل، ولايقضي إلا بما يحسن وينبل ، نظم قلائد المحاسن ونسق ،وجمع من خصال البر ما افترق ،إن نطق صاحبه صدق ، وإن وعد حقق ، فلا تلقاه إلا محمود المشاهد ،ولاتراه إلا موفق المحامد»[٢] وهو كلّه خير[٣] كما قال الحبيب ﷺ ، يبعث على فعل كل مليح وترك كل قبيح، فهو من صفات النفس المحمودة.. وهو رأس مكارم الأخلاق، وزينة الإيمان، وشعار الإسلام؛ كما في الحديث: «إنّ لكل دين خُلقًا، وخُلُقُ الإسلام

(١) فتح الباري (١/ ٥٢) .
(٢) الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق لابي الحسن سلام بن عبدالله الباهلي الاشبيلي المتوفى سنة ٥٤٤هـ . (٤١٣) .
(٣) كما في صحيح مسلم (الحياء كله خير) (٣٧).

الحياء»[١]. و الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنّه أصل العقل وبذر الخير ، وتركه أصل الجهل وبذر الشّرّ والحياء يدلّ على العقل كما أنّ عدمه دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه لم ينصفه منهم قَحَتُهُ[٢] ، وقد جاء عن المعصوم ﷺ وقد كان أشد حياء من العذراء في خدرها : « إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ، وأجمل مايكون الحياء في المرأة العذراء ، فبه تحفظ شرفها، وتعلي خسيستها ، وتصون عرضها ، وتسمو فوق السحاب طاهرة الذيل ، حسنة الذكر الجميل، وبه وصف الله ابنة شعيب عليه السلام فقال : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ (القصص ٢٥).

عن أبي إسحاق، عن عمر بن ميمون قال: قال عمر رضي الله عنه : جاءت تمشي على استحياء، قائلة بثوبها على وجهها، ليست بسلفع خَرَّاجة ولاجة[٣].

ولقد أحسن من قال :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللِّحاء

فالحياء دليل على الخير، وهو المُخْبِر عن السلامة، والمجير من الذم.

قال وهب بن منبه: الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وماله الفقه ، وزينته الحياء [٤].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٦١٠) مرسلا ،وابن ماجة (٤١٨١) وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٠)، الروض النضير (٤١).

(٢) القحة : من وقح والقحة والوقاحة بمعنى واحد وهي قلة الحياء ،انظر مختار الصحاح ، وانظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٤٨) .

(٣) قال ابن كثير : هذا إسناد صحيح تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٠).

(٤) بن أبي شيبة (٣٥٢٣٥).

وقيل أيضًا: من كساه الحياءُ ثوبه لم ير الناس عيبه[١].

حياؤك فاحفظه عليك فإنما يدلُّ على فضل الكريم حياؤه
إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ولا خير في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه

ونظرًا لما للحياء من مزايا وفضائل؛ فقد أمر الشّرع بالتّخلق به وحثّ عليه، بل جعله من الإيمان، ففي الصحيحين: أنّ رسول الله ﷺ قال: "الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلاّ الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" رواه الشيخان[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ أنه قال: « الحياء والإيمان قُرِنَا جميعًا، فإذا رفع أحدُهما رُفع الآخر »[٣].

والسِّر في كون الحياء من الإيمان: أنّ كلاً منهما داعٍ إلى الخير مقرّب منه، صارف عن الشّرّ مبعدٌ عنه، وصدق القائل:

وربَّ قبيحةٍ ما حال بيني وبيـن ركـوبها إلاّ الحيـاءُ

ليس من الحياء:

إنّ بعض الناس يمتنع عن بعض الخير، وعن قول الحقّ وعن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بزعم الحياء، وهذا ولا شك فهمٌ مغلوط لمعنى الحياء؛ فخير البشر محمد ﷺ كان أشدّ الناس حياءً، بل أشدّ حياءً من العذراء في خِدرها ، ولم يمنعه حياؤه عن قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل والغضب لله إذا انتهكت محارمه.

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٢٢٠).
(٢) (البخاري) ١/ ٩ (٩) و(مسلم) ١/ ٤٦ (٦١).
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٣) و قال الشيخ الألباني : صحيح، والحاكم في المستدرك (٥٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا برواته و لم يخرجاه بهذا اللفظ ، وقال الذهبي في التلخيص : على شرطهما.

كما لم يمنع الحياء من طلب العلم والسؤال عن مسائل الدين، كما رأينا أم سليم الأنصارية رضي الله عنها تسأل رسول الله ﷺ : يا رسول الله! إن الله لايستحيي من الحق، فهل على المرأة غسلٌ إذا احتلمت؟لم يمنعها الحياء من السؤال، ولم يمنع الحياءُ الرسول ﷺ من البيان؛ فقال: "نعم، إذا رأت الماء"[١].

أنواع الحياء:

قسم بعضهم الحياء إلى أنواع، ومنها:

١- الحياء من الله .

٢- الحياء من الملائكة.

٣- الحياء من الناس.

٤- الحياء من النفس.

أولا : الحياء من اللّه:

هو شعار الأتقياء ومفزع الأولياء ، فحين يستقرّ في نفس العبد أنّ الله يراه، وأنه سبحانه معه في كل حين، فإنه يستحي من الله أن يراه مقصرًا في فريضة، أو مرتكبًا لمعصية ، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه: «استحيوا من الله حق الحياء. فقالوا: يا رسول الله! إنا نستحي. قال: ليس ذاكم، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[٢].

---

(١) مالك في الموطأ(١١٦) والبخاري (٢٨٢).ومسلم (٧٣٨).

(٢) أحمد ١/ ٣٨٧ برقم (٣٦٧١)، كتاب الزهد، باب ما ذكر عن نبيا محمد ﷺ، ورواه الترمذي ٤/ ٦٣٧ برقم(٢٤٥٨) وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٧٧ برقم (٣٤٣٢٠)، كتاب صفة القيامة والدقائق والورع.

خلا رجل بامرأة فأرادها على الفاحشة، فقال لها: ما ترانا إلاّ الكواكب. قالت: فأين مُكوكبها؟ [١] (تعني أين خالقها).

ولله در القائل:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إنّ الذي خلق الظلام يراني

ثانيًا: الحياء من الملائكة:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الانفطار:١٠- ١٢).وقال بعض الصحابة: إن معكم مَن لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم[٢].

وقد نبّه سبحانه على هذا المعنى قال ابن القيم رحمه الله: أي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلُّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه مَنْ هو مثلكم، والملائكة تتأذّى مما يتأذّى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله،فما الظن بإيذاء الملائكة الكرام الكاتبين؟![٣].

وكان أحدهم إذا خلا يقول: أهلاً بملائكة ربي.. لا أعدمكم اليوم خيرًا، خذوا على بركة الله.. ثم يذكر الله.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٣٩٧).
(٢) روي مرفوعا بأسانيد ضعيفة كما عند البيهقي في " الشعب " (٢/ ٤٦٢/ ٢) وغيره ، وقال الألباني : في الضعيفة (٢٣٠٠) ضعيف .
(٣) الجواب الكافي (٧٥).

ثالثًا: الحياء من الناس:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لا خير فيمن لا يستحي من الناس[١].

وقال مجاهد: لو أنّ المسلم لم يصب من أخيه إلا أنّ حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه.[٢]

والحياء من الناس راجع إلى الحياء من الله تعالى وقد قرنه النبي ﷺ به فقال لرجل لما طلب من النبي ﷺ أن يوصيه فقال: « أوصيك أن تستحيي من الله عز وجل كما تستحيي من الرّجل الصالح من قومك»[٣].

رابعًا: الاستحياء من النفس:

من استحيا من الناس ولم يستح من نفسه، فنفسه أخس عنده من غيره، فحق الإنسان إذا همَّ بقبيح أنَ يتصوّر أحدًا من نفسه كأنّه يراه، ويكون هذا الحياء بالعفّة وصيانة الخلوات وحُسن السريرة.

فإذا كبرت عند العبد نفسه فسيكون استحياؤه منها أعظم من استحيائه من غيره.

قال بعض السلف: من عمل في السّرّ عملاً يستحيي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر.

---

(١) أدب الدنيا والدين (٣٧٠).

(٢) ابن أبي شيبة (٣٥٤٥١) وحلية الأولياء (٣/ ٢٧٠).

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٠٩)، والبيهقي في الشعب (٧٧٣٨) ، والطبراني في المعجم الكبير (٥٥٣٩) وقال الهيثمي في المجمع : رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم (١٠/ ٢٨٤).

إنّ الحياء تمام الكرم، وموطن الرضا، وممهِّد الثناء[١]، ومُوفِّر العقل، ومُعَظِّمُ القدر:

إنّي لأستر ما ذو العقل ساتره ... من حاجةٍ وأُميتُ السّرَّ كتمانًا
وحاجةً دون أخرى قد سمحتُ بها ... جعلتها للتي أخفيتُ عنوانًا
إنّي كأنّي أرى مَن لا حياء له ... ولا أمانة وسط القوم عريانًا

أخي الحبيب أختي الكريمة لقد كان هذا خلق آبائنا وأمهاتنا، فكانوا به في أعين الغير سادة ، وبه قدوة وقادة ، ووالله كانوا دواء لمرضى القلوب بأخلاقهم ، وأنس النفوس عند لقائهم يحسن فيهم قول الأول:

لقاء الحَيِيِّ حياة القلوب ... وأنسُ النفوس وبرءُ الوجيب[٢]
إذا سمع الخيرَ أصغى له ... وإن قيل مالم يجب لا يُجيب

فياأيّها الأخ الفاضل وأيتها الأخت الفاضلة إن من أخذ بخلق الحياء فقد أخذ بجوامع الأخلاق ، وجمع أشتات الخير والصيانة ، وأحلها المرتبة العليا ، وحوى لها خير الآخرة والدنيا .رزقنا الله وإياكم كمال الحياء والخشية، وجعلنا ممَّن حسّن بالخلق الصالح أوصافه ، وجمع من الحياء أصنافه ، بفضله وطَوله ، وختم لنا ولكم بخير.

التّواضع :

التواضع خلق الأنبياء ، وحلية الأولياء ، وهو من أخلاق الإسلام العظيمة ، ومكارمه العميمة ، يوجب الرّفعة في الدنيا ، ويورث عزّ

(١) أي يكون سببا في ثناء الناس على العبد .
(٢) الوجيب : خفقان القلب ، أي أنس الخائف المضطرب قلبه .

المراتب في الأخرى [١]، والتواضع من أعظم النعم التي ينعم الله بها على العبد، قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾، وهو قيامه ﷺ بعبودية الله المتنوعة، وبالإحسان الكامل للخلق، فكان خلُقه ﷺ التواضع التّام الذي روحه الإخلاص لله والحنوّ على عباد الله، ضدّ أوصاف المتكبّرين من كلّ وجه "[٢].

و قال تعالى: « وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ »[٣].

و « التواضع » هو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذّلّ والرّحمة بعباده، فلا يرى له على أحدٍ فضلاً، ولا يرى له عند أحدٍ حقّاً، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قِبَلَه، وهذا خلُق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبُّه، ويكرمه، ويقربه[٤].

وقد جاء في ثواب التواضع أن من تخلق به كانت له الدرجة العظيمة عند الله جل وعلا فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: " ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزّاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله» [٥]وقد دل الحديث على استحباب العفو والتواضع، ذكره النووي رحمه الله تعالى وقال:

قوله ﷺ: " وما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله " : فيه وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجلّ مكانه.

---

(١) الذخائر والأعلاق للإشبيلي (٤٨٧).
(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي: (٥ / ٤٤٢، ٤٤٣).
(٣) لقمان: ١٨ مكية.
(٤) الروح: (ص ٢٣٣).
(٥) رواه مسلم (٢٥٨٨)

والثّاني : أنّ المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا .

قال العلماء : وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة والله اعلم [١].

والتّواضع يكون في أشياء ، منها :

١. تواضع العبد عند أمر الله امتثالاً وعند نهيه اجتناباً:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : «فإنّ النّفس لطلب الراحة تتلكّأ في أمره ، فيبدو منها نوع إباء هرباً من العبودية ، وتتوقف عند نهيه طلباً للظفر بما منع منه ، فإذا وضع العبد نفسه خادمة لأمر الله ونهيه : فقد تواضع للعبودية »[٢].

٢. تواضعه لعظمة الرّبّ وجلاله وخضوعه لعزّته وكبريائه :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فكلّما تطاولت نفسُه : ذَكَر عظمة الرّبّ تعالى ، وتفرّده بذلك ، وغضبه الشديد على من نازعه ذلك ، فتواضعت إلى خالقه نفسه ، وانكسر لعظمة الله قلبه ، واطمأنّ لهيبته، وأخْبت لسلطانه ، فهذا غاية التّواضع ، وهو يستلزم الأوّل من غير عكس . (أي يستلزم التواضع لأمر الله ونهيه ، وقد يتواضع لأمر الله ونهيه من لم يتواضع لعظمته)

والمتواضع حقيقة : من رزق الأمرين ، والله المستعان[٣] .

٣. التواضع في اللباس والمِشية : عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال :

---

(١) شرح مسلم (١٦ / ١٤٢) .
(٢) الروح : (ص ٢٣٣) بتصرف .
(٣) الروح (ص ٢٣٣) . بتصرف .

" بينما رجل يجرُّ إزاره من الخيلاء خُسف به فهو يتجلجل[١] في الأرض إلى يوم القيامة "[٢].

ولفظ البخاري : " بينما رجل يمشي في حلَّة تعجبه نفسه مرجِّل جُمَّتَهُ إذ خَسف الله به فهو يتجلجل[٣] إلى يوم القيامة " .

٤. التواضع مع المفضول فيعمل معه ويعينه :

عن البراء بن عازب قال :" كان النبي ﷺ ينقلُ معنا التراب يوم الأحزاب ولقد رأيته وَارَى التُّرَابُ بياضَ بطنه - أي غطّاه - وهو يقول: لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا فأنزلن سكينة علينا إنّ الألى ، وربما قال: الملا قد بغوا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبينا ، أبينا يرفع بها صوته " [٤].

٥. التواضع في التعامل مع الزوجة وإعانتها :

عن الأسود قال : سألتُ عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله - تعني : خدمة أهله - ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة [٥].

قال الحافظ ابن حجر : وفيه : الترغيب في التواضع وترك التكبر ، وخدمة الرجل أهله «[٦] .

---

(١) تجلجل في الأرض، أي ساخ فيها ودخل. يقال: تجلجلت قواعد البيت، أي تضعضعت.(الصحاح للجوهري ٥/ ٣٤٥).

(٢) رواه البخاري (٣٢٩٧) ومسلم (٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٣) مرجل جمته : الترجيل هو تسريح الشعر ودهنه ،والجُمَّة : هي الشعر المتدلي من الرأس إلى المنكبين .

(٤) رواه البخاري (٦٨٠٩) ومسلم (١٨٠٣).

(٥) رواه البخاري (٦٤٤).

(٦) فتح الباري (٢ / ١٦٣) .

٦. التواضع مع الصغار وممازحتهم :

عن أنس قال : كان النبي ﷺ أحسنَ الناس خلُقاً ، وكان لي أخ يقال له " أبو عمير " – قال : أحسبه فطيماً – وكان إذا جاء – أي النبي ﷺ إلى بيتهم – قال : « يا أبا عمير ما فعل النغير »[١] .

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة جدّاً منها : ... ملاطفة الصبيان وتأنيسهم وبيان ما كان النبي ﷺ عليه من حسن الخُلق وكرم الشمائل والتواضع "[٢].

٧. التواضع مع الخدم والعبيد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه وليَ حرَّه وعلاجَه "[٣].

ومعنى " ولي حرَّه وعلاجه " : أي عانى مشقة صُنع الطعام والقيام على تقديمه ، وفي رواية مسلم « وليَ حرَّه ودخانه » .

ولايزال أهل قطر ولله الحَمْدُ بخير ماداموا يتخلّقون بأخلاق التواضع ، فيفتحون قلوبهم للقادم قبل مجالسهم ، وإنّها لعمر الله صفة حميدة ينبغي أن يغرسها الكبار في صغارهم ، ويورّثها الآباء لأبنائهم ، وأن تكون مادة تدرس وخلقا جميلا يغرس ؛ لأنّ خلق التّواضع خلق كريم حثّ عليه الإسلام ، وهو طريق موصل إلى مرضاة الله وإلى جنّته، وسبيل إلى القرب من الله ومن ثمّ القرب من النّاس، وهو عنوان سعادة

---

(١) رواه البخاري (٥٨٥٠) ومسلم (٢١٥٠).قال النووي : " النُّغيْر " وهو طائر صغير . و" الفطيم " بمعنى المفطوم .

(٢) شرح مسلم : (١٤ / ١٢٩) .

(٣) رواه البخاري (٢٤١٨) و (٥١٤٤) ومسلم (١٦٦٣).

العبد في الدّارين، وبه يحصل النّصر والبركة في المال والعمر ،وعكس التواضع كبرياء ومقت حذر منه الدّين وبغَّضه لأهل الإيمان.

فلذلك ينبغي أن لاتنسينا خطوات الانفتاح على العالم قيمَنا وأخلاقَنا، بل يجب أن نرعاها ونسقي شجرتها حتى ولو تطورنا حضاريا لتبقى لنا سمتُنا الخاصّة ، وعنواننا الأبرز أنّنا مسلمون أوّلاً وأخيرًا .

الكـــرم :

يطلق الكرم على الجود بالمال في عرف الناس ، وبذل العطاء للمحتاج وغيره ،ولكن حقيقة الكرم كما قال العلماء هو : اسم واقع على كل نوع من أنواع الفضل ، ولفظ جامع لمعاني السماحة والبذل ، فكل خصلة من خصال الخير ، وخلة من خلال البر، وشيمة تعزى إلى مكارم الأخلاق ، وسجية تضاف إلى محاسن الطبائع والأعراق، واقعة على اسم الكرم ، والكرم صفة من صفات الله تعالى ،قال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (المؤمنون) ، ووصف بها سبحانه أنبيائه وملائكته ، فقال عز من قائل: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ﴾ (التكوير:١٩).

قال ابن عباس ﷺ : سادة النّاس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء [1].

فأما الآخرة فإنها توضح السبيل إلى النجاة ، وتبعث على دواعي الخلاص ، والفوز بالأمنية ، فإن صاحبها واثق بالله ،متوكل عليه ، مستمسك بحبله، عارف بما عنده ، راض بما قسم له ، وأما في الدنيا:فإنه يورث الحمد ،ويشيد المجد ،ويكسب حسن الثناء ، ويزرع المحبّة في

(١) شعب الإيمان للبيهقي (١٠٨٩٧).

القلوب ، فهو يعلي المراتب ، ويحمد العواقب، ويدفع النّوائب[١] ، كما قال رسول الله ﷺ: « صنائع المعروف تقي مصارع السوء »[٢].

إنّ المتأمل للمجتمعات الإنسانية على وجه الأرض يجدها تتفاوت في أخلاقها وسلوكها بحسب اختلافها في معتقداتها وتقاليدها وعاداتها، ومن ثم فإن سمة الكرم والسخاء ، والنبل والعطاء ، في جوانب هذا المجتمع المسلم ملموسة ، ترسّخت فيه أبًا عن جدّ، وعهدا من بعد عهد، فالعربيّ بطبعه كريم حتىّ ولو لم يجد مايكرم به ضيفه فإنّه يهشّ ويبش ، ويرحّب ويفرح كما قال حاتم بن عبد الله :

أباسط ضيفي قبل إنزال رحله فيخصب عندي والمحلُّ جديب

وكما قال الاخر :

وإنّي لعبد الضيف مادام ثاويا ولاشيمة لي غيرها تشبه العبدا

فكيف وأنّهم مجتمع مسلم فذلك ممّا يزيد فيهم رسوخ الكرم وحبّه، وكرم أهل قطر معروف لايخفى على من عايشهم أو نزل عندهم ضيفا ، ورمضان شاهد على خيامهم المبثوثة في أرجاء قطر والدنيا، وأيام الأعياد والجمع خير دليل على موائدهم المبسوطة لمن هبّ ودرج .

فعلى المجتمع أن يحافظ على هذا الخلق العظيم ليزداد شكرا لله تعالى فيمدّه بعطائه ، ولايفرط في أخلاقه ، وعاداته الموافقة للشرع ، فهي زاده الأخلاقي ، وذخره الأخروي .

نعم أخي الكريم إن الكرم خصلة في هذا المجتمع ليست محدثة فيهم ولا مبتدعة بل كانت خلة لهم أيّام عوَزِهِم وقلّة ما في أيديهم،

---

(١) الذخائر والأعلاق للأشبيلي (٣٣٧). بتصرف يسير .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٠١٤) من حديث أبي أمامة ﷺ وصححه في صحيح الجامع الصغير (٣٧٩٧) .

فكيف وقد فتح الله عليهم خزائن الأرض ،وبسط لهم من الخير ما يندُّ عن الحصر ، ممّا ينبغي لهم تجاهه أن يكثروا من شكر المنعم عليهم سبحانه، لتدوم النعم ، ويغيثوا أهل العوز والحاجة في مشارق الأرض ومغاربها، ليرزقهم الكريم المنعم ؛ وها هي مؤسساتنا الخيرية من البلد المعطاء تجوب الآفاق ، وتسابق القحط والإملاق ، ونكبات الحروب والزّلال ، فتراها أوّل الوفود مسرعة ، وآخرهم مغادرة ، لإغاثة المستغيثين من أهل الأرض سواء كانوا مسلمين أم كانوا من غيرهم فرحمة الإنسان فضيلة وكرم ، ومدّ يد العون للقريب والغريب خلق إسلامي فاضل ، وسلوك نبيل متواصل .

فاللهَ نسأل أن يديم هذه النعم الجليلة ، وأن يرزقنا شكرها إنه جواد شكور حليم .

الشجاعة :

حقيقة الشجاعة :

في اللغة: يرد معناها إلى أصل واحد هو الجرأة و الإقدام . في لسان العرب: شَجُع شجاعة : اشتد عند البأس ، والشجاعة : شدة القلب في البأس ، و من يتصف بهذا الخلق يقال له : شُجاع .

والشجاعة هي الصبر و الثبات والإقدام على الأمور النافعة تحصيلاً وعلى الأمور السيئة دفعاً ، وتكون في الأقوال والأفعال ، والشجاعة التغلب على رهبة الموقف، قال بعضهم : الشجاعة شجاعة القلب وهي صبر ساعة ، ثم لابدَّ للشجاع من أن يعتمد على رأي حصيف و تبصر مع حسن حيلة وحذر وتيقظ وإلا كانت انتحاراً .

قال المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
فإذا اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران

وليست العبرة في الشجاعة بضخامة الأجسام ،وطول الهام ، ولكن برباطة الجأش وقت النِّزال ، ورسوخ الهمة كالجبال ، وفي ذلك يقول كثير عزّة :

ترى الرّجل النحيف فتزدريه و في أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير إذا تراه فيخلف ظنك الرجل الطرير[٢]
وقد عظم البعير بغير لبّ فلا عرف لديه و لا نكير

(١) الطرير: ذو المنظر البهي والأبهة الفاخرة .

مواطن الشجاعة :

اعلم أن مواطن الشجاعة متعددة : في الجهاد ، والخطابة ، وعلى المنابر ، والأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر، وإعلان الرّأي قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٦٠-١٥٩) وفي الحديث: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه أبوداود والترمذي[١]، و« سيّد الشهداء يوم القيامة حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره أو نهاه فقتله »الحاكم [٢].

والشجاعة قد تكون في حالة التعرض للبغي ودفع الظلم والذل عن النفس والدفاع عن الحريم و الأعراض و طلب العز والمجد ، ومن أجل بقاء هذا الوجود، وشجاعة الإرادة التي تشمل (القدرة على ضبط شهوات النفس ومنع جنوحها إلى مهاوي الردى والمهالك – التغلب على مخاوف النفس وهواجسها و قهر أوهامها – ألا ينقاد المرء

---

(١) عن صحابيين أبي سعيد وأبي أمامة رضي الله عنهما ،فالأول أخرجه أبو داود (٤/ ١٢٤ ، رقم ٤٣٤٤) ، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٩ ، رقم ٤٠١١). وحديث أبى أمامة : أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١ ، رقم ٢٢٢١٢) ، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٠ ، رقم ٤٠١٢) .

قال البوصيرى (٤/ ١٨٤) : هذا إسناد فيه مقال ، أبو غالب مختلف فيه ضعفه ابن سعد وأبو حاتم والنسائى ووثقه الدارقطنى وقال ابن عدى : لا بأس به وراشد بن سعيد قال فيه أبو حاتم صدوق وباقى رجال الإسناد ثقات . والطبرانى (٨/ ٢٨٢ ، رقم ٨٠٨١) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٩٣ ، رقم ٧٥٨١) . وأخرجه أيضاً : البغوى فى الجعديات (١/ ٤٨٠ ، رقم ٣٣٢٦) .و قال الشيخ الألباني : صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٢١٥ ، رقم ٤٨٨٤) وقال : صحيح الإسناد والطبراني ، وضعفه الهيثم في مجمع الزوائد ، ومال الألباني إلى تصحيحه ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح/ ٣٧٤ .

للجلساء و أصحاب المنافع أو الشهوات التي تخل برجولته أو كرامته أو مروءته)، شجاعة القرار مثل (إمضاء أبي بكر الصديق الجيش لحرب المرتدين – جمع أبي بكر الصديق القرآن في المصحف – انسحاب خالد ابن الوليد في غزوة مؤتة)، وغيرها كثير، وأعلى الشجاعة هو التقدم للتضحية بالنفس في سبيل الله تعالى ، و الحلم من الشجاعة، وأعظم الشجاعة الخوف من الله عزوجلّ قال الأول :

ليس الشجاع الذي يحمي فريسته عند القتال ونـار الحرب تشتعل
لكن من رد طرفاً أو ثنى وطـــراً عن الحرام فذالك الفارس البطل

ولذلك قال بعضهم : لا ينتصر العبد في المعركة حتى ينتصر في نفسه على الشهوات والمعاصي و المخالفات .

والعرب تقول : إن الشجاعة وقاية والجبن مقتلة .

ومن دوافع الشجاعة طلب الثناء والذكر الحميد وهو منهي عنه.

وذكر الأبشيهي أوجه الشجاعة عند اللقاء في الحرب في كتابه (المستطرف) [1].

الشجاعة تكون في كثير من الأحيان حاسمة لبعض المواقف الشّائكة والرّجل الشجاع درع لأمّته وصون لها .

كمال الشجاعة :

كمال الشجاعة وزينتها أن تكون بإرشاد العقل متزنة و متوافقة مع الحكمة فإنّ الشّيء إذا زاد عن حد الحكمة خشي أن يكون تهوراً وسفهاً وإلقاءً باليد للتهلكة وذلك مذموم كما يذمّ الجبن ، فالشّجاعة خلق فاضل متوسط بين خلقين رذيلين هما الجبن و التهور.

---

(١) المستطرف من كل فن مستظرف (١/ ١٢).

الشجاعة من أخلاق الإسلام :

الشجاعة من أخلاق الإسلام التي ساعدت المسلمين على الفتوح والسيادة في الأرض .

الشجاعة هي ينبوع مكارم الأخلاق والخصال الحميدة منشؤها منهاومردها إليها . قال الطرطوشي: وأعلم أنّ كلّ كريهة ترفع أو مكرمة تكتسب لا تتحقّق إلاّ بالشجاعة .

ثمار الشجاعة :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد : الشّجاعة من أسباب السعادة فإنّ الله يشرح صدر الشّجاع بشجاعته وإقدامه وهذا معلوم، لأنّ الهمّ والقلّة والذلّة وحقارة الحال تأتي من الجبن والهلع والفزع، وأنّ السعادة و الانشراح والضحك والبسطة تأتي مع الشجاعة والإقدام وفرض الرأي وقول كلمة الحق التي علّمها رسول الله ﷺ أصحابه .

والشجاعة تثمر محبّة الله عزوجل لحديث: ثلاثة يحبّهم الله عزّ وجلّ وذكر منهم: " ورجل كان في سرية فلقوا العدو فهُزموا ، فأقبل بصدره حتى يُقتل أو يفتح الله له " رواه أحمد النسائي و الترمذي[١] .

وعلاقة الشجاعة بالكرم أنّ الكرم إن كان ببذل النفس فهو شجاعة، وعلاقة الشجاعة بالصبر أنّ الصبر في المحاربة شجاعة . يقال: الشجاع محبب حتى إلى عدوه ، والجبان مبغض حتى إلى أمه[٢].

---

(١) خرجه الترمذى (٤/ ٦٩٨ ، رقم ٢٥٦٨) ، والنسائى (٥/ ٨٤ ، رقم ٢٥٧٠) وابن خزيمة (٤/ ١٠٤ ، رقم ٢٤٥٦) ، وابن حبان (٨/ ١٣٨ ، رقم ٣٣٥٠) ، والحاكم (١/ ٥٧٧ ، رقم ١٥٢٠) وقال : صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه أيضًا : أحمد (٥/ ١٥٣ ، رقم ٢١٣٩٣) ، والبزار (٩/ ٤٢١ ، رقم ٤٠٢٧) .

(٢) زاد المعاد (٢/ ٢٢) .

من أين تستمد الشجاعة قوتها :

الشجاعة خلق نفسي له مواد تمدّه وتنميه: من ذلك الإيمان ؛ فإنّ الشجاعة في الإنسان تكون على قدر إيمانه ومعرفته بربه وإيقانه أنه لا يصاب إلا بما كتب له وأن إقدامه إلى ما يرضي ربه يرفع قدره عنده عزوجل وأن الغاية هي الجنة وأن الدنيا لا تساوى شيئاً دون أن يمس ذلك الإقدام رزقه أو أجله أو يحول بينه وبين أي محبوب قدر أن يصل إليه كما قال النضر : الجنّةَ الجنّةَ وربّ النضر ثم صاح يقول :

فيا ربّ إن حانت وفاتي فلا تكن ... على شَرْجَعٍ[٢] عالي وخضر المطارف
ولكن أحِن يومي شهيداً وفتية ... يمسون فِي فج من الأرض خائف
عصائب من شيبان ألّف بينهم ... تقى الله نزّالون يوم التزاحف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى ... وصاروا إلى موعود ما في المصاحف[٢]

من أشجع الناس ؟:

أشجع النّاس الأنبياء لأنّهم أعلى النّاس إيماناً، و لأنّهم باعوا أنفسهم وأموالهم إلى الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ثمّ المؤمنون من أتباعهم فإن الله عزوجل يقول: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (التوبة :١١١).

---

(١) الشَّرْجَعُ: السرير يُحْمَل عليه الميت

(٢) يقول : يارب إن جاءتني الوفاة فأرجوك أن تكون في ساحات القتال مع إخوة لي في الله همهم الزحف في قتال الأعداء ، والتطلع إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى ، ولاتمتني على سرير مرتفع وقد أفرشوا تحتي من زينة الفراش وأحاطوا بي لذات الدنيا وطيب المعاش .

ثم يتفاوت الناس في الشجاعة بعد الأنبياء والرسل درجات كما قال عمر بن الخطاب ﷺ : إنّ الشّجاعة والجبن غرائز في الرّجال ؛ تجد الرّجل يقاتل لا يبالي ألاّ يؤوب إلى أهله ، وتجد الرجل يفرّ عن أمّه وأبيه، و تجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك الشهيد "[١].

أمثال وأمثلة في الشجاعة :

لايشكّ مسلم في أنّ سيّد الشّجعان محمّد خير ولد عدنان ﷺ فقد أخبر عنه أصحابه أنّهم كانوا إذا حمي الوطيس[٢] احتموا به ، وأنه وقف لوحده لجيش هوازن مع بضعة من أصحابه فهزمهم بفضل الله تعالى ونعمته ، وأنه ذات يوم فزع أهل المدينة فخرجوا مسرعين نحو الصوت الذي أفزعهم فوجدوا رسول الله ﷺ قافلا من نحو الصوت على فرس لأبي طلحة ﷺ وهو يقول للناس : لم تراعوا لم تراعوا [٣] ، و طعنه لأبيّ بن خلف في أحد في عنقه تدأدأ [٤]منها عن فرسه مراراً حتى قال أبيّ: لو بصق عليّ لقتلني .

ومما شاع وصار مضرب الأمثال حديث: (لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا)[٥] ففيه حث على الشجاعة .

---

(١) ذكره في صفوة الأخبار.

(٢) الوطيس في اللغة : حفيرة تحتفر في الأرض شبيهةٌ بالتنور، ويضرب به المثل في شدة الأمر ؛ وهي كلمة لرسول الله ﷺ ، قالها يوم حنين لم يسبقه إليها أحد" فصارت مثلا .

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ١٤٧ (١٢٥٢٢) و«البخاري» ٤/ ٢٧ (٢٨٢٠) و«مسلم» ٧/ ٧٢ (٦٠٧٢).

(٤) تدأدأ: قيل أصله «تدهده»، فأبدلت الهاء همزة، وقيل: الدأدأة صوت الحجارة في المسيل. (أي تردى منها على وجهه).

(٥) أخرجه البخاري ٤/ ٢٦ (٢٨١٨) و٤/ ٣٠ (٢٨٣٣) و٤/ ٦٢ (٢٩٦٥ و٢٩٦٦) و٩/ ١٠٥ (٧٢٣٧)،و مسلم (١٧٤١) .

وقال أبوبكر لخالد بن الوليد العبارة المشهورة: احرص على الموت تُوهب لك الحياة؛ و لما سأل عمر بن الخطاب ﷺ بعض بني عبس عن ظهورهم على أعدائهم، فقالوا: كنّا نصبر بعد النّاس هنيهة؛ وسئل عنترة العبسي عن قتالهم ضدّ ذبيان فقال: كنّا ألفاً مثل الذّهب الخالص ليس فيه غيرنا لم نكثر فنتواكل ولم نقلّ فنذلّ، وقيل لعنترة:كيف تغلب الأبطال؟ قال: أبدأ بالجبان فاضربه فأقسمه قسمين فإذا رأى الشجاعُ الجبانَ مقسوماً فرّ منيّ، وقيل له: كيف تنتصر على الناس؟ قال: بالصبر.

وقال الفارس الخارجي الشّجاع قطري بن الفجاءة[1]:

أقـولُ لها، وقَـدْ طـارَتْ شـعَاعاً ... مـن الأَبْطـال: وَيْحـك لا تُرَاعـي
فإنَّـك لـو سَـأَلْت بقَـاء يَـوْمٍ ... عَلى الأَجَـلِ الذي لَكَ لَـنْ تُطَاعي
فَصَـبْراً فِي مَجـال المَـوْت صَـبْراً ... فَـما نَيْـلُ الخُلُـودِ بِمُسْـتَطاع
ولا ثَـوْبُ البقَـاء بثَـوْبِ عـزٍّ ... فيُطْـوَى عـن أخـي الخَنَـع اليَرَاعَ
سَـبيلُ المَـوْت غايَـةُ كُـلِّ حَـيٍّ ... فَداعيـه لأَهْـلِ الأَرْضِ داعـي
ومَـنْ لا يُعْتَبَـطْ يَسْـأَمْ ويَهْـرَمْ ... وتُسْـلِمْهُ المَنُـونُ إلى انْقطَـاع
ومـا لِلْمَـرءِ خَـيْرٌ فِي حَيـاة ... إذا مـا عُـدَّ مـن سَـقَطِ المَتَـاع[2]

أما إنه لولا الإيمان مقرونا بهذا الخُلق .. ما قام لله ناصح وما نافح عن الإسلام منافح .. إن الشجاعة ليست منازلة في الحروب فحسب..!!

---

(١) الحماسة البصرية (١/ ١٧).

(٢) المعنى : أقول للنفس وقد طارت متفرقة من خوف الأبطال ويحك لا تراعي ولا تفزعي ولكن تشجعي واصبري ، فإن النفس إذا طلبت أن يفسح لها في أجلها زيادة عن الأجل المسمى لها لا يجاب طلبها ، وقوله : صبرا تأكيد لصبرا أول البيت والمعنى ظاهر، وقوله: أخو الخنع الذليل واليراع هنا الرجل الجبان الذي لا قلب له كأنه لا جوف له فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه يقول إن الجبان وإن لبس ثوب البقاء والحياة فإنه ليس بثوب عز وشرف فينزع عنه ويطوى ' ثم يختم معزيا لها بأن غاية كل حي وإن طاله عمره من سلوك سبيل الموت .

(الشجاعة) تكليف يلتزم المسلم أداءه في السلم والحرب .. في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عالَمَ ضَالٍّ .

(الشجاعة) الدعوة إلى الإصلاح في أمة فاسدة النظم .

(الشجاعة) الثبات أمام الشبهات والشهوات .

(الشجاعة) الدفاع عن النفس والمال والعرض والدين والمظلوم.

(الشجاعة) ثبات المسلمة أمام شبهات أدعياء تحرير المرأة .

هكذا كوني ولا تخشي أذى من أحبَّ الشَّهْدَ قاسَى الإبرا

الإنفاق في السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس (شجاعة) .. المجاهدة على ذلك كله (شجاعة).

وكلّ شجاعة في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم[٢]

توقير الكبـــير :

إنّ احترام الكبار وتوقيرهم من القيم الإسلامية العظيمة التي يتعبد المسلم بها ربه ويتقرّب إليه ، واحترامهم ليس مجرد تقاليد صارمة أو إجراءات حزم عسكري ، بل هي خلق جميل من محاسن الدين ، وشيم أهل الإيمان والإسلام ، إنها سلوكيات راقية نؤدّيها عن طيب خاطر ، ورضاء نفس ، والتماس أجر وابتغاء ثواب، لذا وجب أن نحرص نحن على تأديتها أولاً ثم نربي أبناءنا عليها.

إنّ مرحلة الشّيخوخة مرحلة من مراحل عمر الإنسان وفيها يتجلّى ضعفه مرة أخرى حيث يحتاج إلى اليد الحانية والرعاية الكافية، فاحترام الكبير وإشعاره بأنه وإن كبر ليس وحيدا يعتبر مكسبا عظيما

(١) من محاضرة : إيماض برق للشيخ علي عبد الخالق القرني .

وقيمة من القيم المهمّة التي تجعل حياة المجتمعات ذات روعة وجلال ونظام عظيم يقدّر الكبير، ويضعه في المكانة التّي تليق به ، ويعرف كلّ شخص دوره ومكانه فلا يتعدّى على الآخرين ولا يقفز فوق مكانتهم ولا يطلب لنفسه أكثر من قدرها فيتحوّل إلى الكبر وبطر الحق وغمط الناس، بل نظام وعدل، ووضع للأمور في نصابها عبر قيم رائعة تنظم حياة المجتمعات بأسلوب راق فتجعل للمجتمع وأحوال الناس في كل محافلهم ومعاملاتهم مرجعية يرجعون إليها فترتب الأمور وتحسم النزاع وتمسك بالزمام.

حث النبي ﷺ على احترام الكبار وفعل ذلك بنفسه:

يتجلّى احترام الكبير من موقف النبي ﷺ الكريم الذي حثنا على احترام الكبار ورعايتهم فهاهو أبو قحافة والد الصديق رضي الله عنهما يَقْدُمُ على النّبيّ ﷺ فيقول رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه : « لو أقررت الشّيخ في بيته لأتيته ؛ تكرمة لأبي بكر » [(١)].

ولكبير السّنّ مكانته المتميّزة في المجتمع المسلم فهو يتعامل معه بكلّ توقير واحترام، يحدوه في ذلك قول الرسول ﷺ: « ليس منّا من لا يرحم صغيرنا ويعرف حقّ كبيرنا » رواه أبو داود والترمذي[(٢)].

وعند البخاري في الأدب المفرد وأبي داود عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ

(١) الضياء في الأحاديث المختارة (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣) ،و الحميدي (٥٨٦) . وأحمد ٢/ ٢٢٢ (٧٠٧٣) ، و"البخاري" في "الأدب المفرد" ٣٥٤).

الْمُسْلِم ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ [١]، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ »[٢] أي : تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك ، كل هذا من كمال تعظيم الله ، لحرمة ذي الشيبة المسلم عند الله .

وقال رسول الله ﷺ : « ما أكرم شابٌّ شيخاً لسنّه؛ إلا قيَّض الله لهم من يكرمه عند سنِّه » ؛ أخرجه الترمذي[٣].

وذمّ رسول الله ﷺ من لا يعرف حقّ الكبير ، ومن لم يوقّره، فعند أحمد والتّرمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرِ الْكَبِيرَ ، وَيَرْحَمِ الصَّغِيرَ ، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ »[٤].

وروى أحمد عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»، وروى أحمد والترمذي عَنِ ابنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا » وفي رواية: «وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا» [٥] . أي: ما يستحقه من التعظيم والتبجيل والتوقير .

---

(١) الْغُلُوُّ التَّشْدِيد وَمُجَاوَزَة الْحَدِّ أَيْ عْنِي غَيْرِ الْمُتَجَاوِز الْحَدّ فِي الْعَمَل بِهِ وَتَتَبُّع مَا خَفِيَ مِنْهُ وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِنْ مَعَانِيه وَفِي حُدُود قِرَاءَته وَمَخَارِج حُرُوفه، قَالَهُ الْعَزِيزِيُّ ؛ (وَالْجَافِي عَنْهُ) أَيْ : وَغَيْر الْمُتَبَاعِد عَنْهُ الْمُعْرِض عَنْ تِلَاوَته وَإِحْكَام قِرَاءَته وَإِتْقَانَ مَعَانِيه وَالْعَمَل بِمَا فِيهِ. ا.هـ من عون المعبود (١٣/ ١٣٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٣٠ ، رقم ٣٨٨) ، وابن أبى شيبة (٦/ ٤٢١ ، رقم ٣٢٥٦١) ، وأبو داود (٤/ ٢٦١ ، رقم ٤٨٤٣) ، والبيهقى (٨/ ١٦٣ ، رقم ١٦٤٣٥) . وأخرجه أيضًا : البخارى فى الأدب المفرد (١/ ١٣٠ ، رقم ٣٥٧) .

(٣) أخرجه الترمذى (٤/ ٣٧٢ ، رقم ٢٠٢٢) وقال : غريب .

(٤) أحمد : ١ / ، والترمذي (١٩٢١) .

(٥) أحمد : ٢ / ١٨٥ ، والترمذي (١٩٢٠) ، ورواه أحمد : ٢ / ٢٦٨ ، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٤) ، وأبو داود (٤٩٤٣) عن ابن عمرو من وجه آخر .

وروى البخاري في الأدب المفرد والحاكم عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا» [١].

وجعل البركة في معاشرة الأكابر ، فروى الطبراني وابن حبان والحاكم عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « البركة مع أكابركم » [٢].

وبوّب عليه ابن حبان قال : (ذكر استحباب التبرك للمرء بعشرة مشايخ أهل الدين والعقل) [٣].

وروى عبد الرزاق عن طاووس قال : من السنة أن يوقر أربعة : العالم ، وذو الشيبة ، والسلطان ، والوالد [٤].

وراعى النبي ﷺ أيضا حال الكبير في الصلاة ، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ » [٥].

وكذا يراعى حق الكبير في السلام عند اللقاء فيسلم الصغير على الكبير ، ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ» [٦].

تلكم آداب راقية في معاملة الكبير في الإسلام ورعاية حقه ، وهي

---

(١) البخاري في الأدب المفرد (٣٥٣) ، والحاكم (٧٣٥٣) وصححه .
(٢) الطبراني في الأوسط (٨٩٩١) ، وابن حبان (٥٥٩) . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح، والحاكم (٢١٠) وصححه على شرط البخاري .
(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٢/ ١١٣).
(٤) المصنف : ١١ / ١٣٧ .
(٥) البخاري (٧٠٣) ، ومسلم (٤٦٧) .
(٦) البخاري (٦٢٣١) .

تدل على غيرها ، فإن التزم الناس أدب الإسلام وقر الكبير وحفظ مقامه وروعيت شيبته [١].

ولاعجب أن يهتمّ الإسلام بأقرب الكبار إليك ويحثّك على العناية بهم والرّفق بهم ، فلذلك وصّى الله بالوالدين إحسانا بل وبالغ في رسم الصور المعبّرة للعقوق ليتجنّبها الأولاد وينأى عنها الأحفاد، فقال سبحانه: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ ؛ فلقد أوصى القرآنُ بالوالدين بصفة عامة، وخصَّ هذه الحالة بالذكر، حالة بلوغ الكبر، كبر السنّ والشيخوخة، فقال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ ، (عندك)، وليس (في المصحة)!! عندك في بيتك، في دارك،وليس في دار العجزة والإهمال العاطفي ، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴿٢٣﴾﴾ ، هذان نهيان، الأُفُّ: مجرد التأفف والتضجر، سواء أكان بالكلام؛ كأن يقول: "أُف"، أو بالنَّفَس؛ مجرد النفخة حرام!

قال بعض السلف: لو كان هناك شيء أقل من (أُفٍّ) لحرمه الله.

وانظر إلى هذا الأدب الذي يتجّلى بين والد وابنه فيقول الابن إذا أصبح لأبيه: "يا أبتِ، يرحمك الله كما ربيتني صغيراً". يقولها منفذاً تعاليم القرآن، فيقول له أبوه: "يا بني، وأنت يرحمك الله كما برَرتَني كبيراً". انظر إلى هذه العلاقة الطيبة الحسنة!.

انظر إلى هذا التذلل بين يدي والد كريم ، وتأمل رد الأب الحاني، إنه البر الذي يملأ الإسلام به حنايا أتباعه .

وكذلك يجب احترام الإخوة والأخوات الكبار فكما يحرص

(١) من الأدب بين الصغير والكبير إصدار من إصدارت الدعوة .

الإسلام على أن يبرّ الابن أو البنت أبويه أو آباءه وأمهاته ، فإنّه كذلك يحرص أن يمتدّ احترام الصّغير للكبير ورحمة الكبير للصغير حتى يوجب على الصغير والصغيرة نحو الأخ الكبير أوالأخت الكبرى حقاً كحق الوالد والوالدة أوقريباً منه وذلك أن هذا الأخ الكبير تجب عليه رعاية إخوته الصغار كما لوكان أباهم وكذلك على الأخت الكبرى وهذا في حال حياة الوالد والوالدة فما بالنا في حال موتهم إنّ السنّة النّبويّة المطهّرة وردت بما يقرّر هذه الحقوق ويؤكدها دعماً لأواصر المودة والتراحم والبر والتكافل بين أفراد الأسرة جميعا فعن أسامة بن شريك قال سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع وهو يقول : « أمّك وأباك وأختك وأخاك ثمّ أدناك أدناك »[1] ، وفي لفظ لمسلم : « أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ ».

وروى البيهقى فى الشعب بسنده عن سعيد بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « حقّ كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده »[2].

الفزعة أو إغاثة الملهوف :

أخي المسلم:أختي المسلمة إنّ ساحة البر والعطاء واسعة الأطراف، وارفة الظلال ، كثيرة الثمار ، وإن من جليل الأخلاق ، وكريم المآثر التي كان يتصف بها نبينا ﷺ خلق إغاثة الملهوف ، وتنفيس همّ المكروب ولقد شهدت له بذلك الخلق خديجة رضي الله عنها والناس كلهم .

(١) الحاكم في المستدرك (٧٢٤٥)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٣٨٩).

(٢) البيهقي في الشعب (٧٩٢٩)ورواه أبو نعيم في « أخبار أصبهان « (١ / ١٢٢) وضعفه الألباني انظر حديث رقم : ٢٧٣٦ في ضعيف الجامع.

وإغاثة الملهوف هي الإعانة على نوائب الدهر أو مايطلق عليه بالفزعة ، فلقد جاء النبي ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها وهو يرجف فؤاده ، ويقول : « زَمِّلُوني زَمِّلُوني فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ » رواه البخاري[1] .

ولقد كان أصحاب النبي ﷺ على شاكلته في تلك الرسالة الأخلاقية التي كان يحملها للناس فهذا أبو بكر الصديق يريد أن يخرج من مكة ويسيح في الأرض ليتعبد ويترك مايتعرض له من أذى قريش فيقف له زعيم من قريش وهو ابن الدغنة ويقول له : " إِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ "[2].

إنّ للمكارم أبوابا لا يَلِجُها إلا أولئك الموفّقون.. الذين يستلذون فعل المحاسن عندهم ألذّ من الماء البارد !

أولئك هم الذين أسعدهم الله تعالى بقضاء حاجات العباد.. وإغاثة ملهوفهم.. والإحسان إلى ضعيفهم.

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم طوال الرِّماحِ لا ضعاف ولا عزل
بخيلٍ عليها جُنّة عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

فما أغلاها من فرصة.. وما أعلاها من درجة.. وما أسعدهم ببشارة نبيهم ﷺ : « أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ، سرور تدخله على مسلم،

(١) البخاري (٣).
(٢) البخاري (٢٢٩٧) .

أو تكشف عنه كُربة ، أو تطرد عنه جوعاً، أو تقضي عنه دينا »[١] .

لقد رأينا في الإسلام كيف أن الإغاثة أصبحت واجبًا ينهض به القادرون، وعملاً من أعمال الخير يتنافس فيه المتنافسون، وأصبح من الحقائق المسلمة عند المسلمين أن: « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته »[٢] كما أخبرهم نبيهم ﷺ .

بل رأينا رسول الله ﷺ يأمر المسلمين بإغاثة الملهوفين، فحين نهاهم عن الجلوس في الطرقات، إلا إذا أعطوا الطريق حقها، بيَّن لهم أن من حق الطريق: إغاثة الملهوف فعند أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقوم جلوس في الطريق. قال: "إن كنتم لابدّ فاعلين فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأغيثوا المظلوم"[٣].

وإغاثة الملهوف صدقة من العبد ، له أجرها وبرها. فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "على كل مسلم صدقة. قالوا: يا نبي الله! فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده ويتصدق. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف..."الحديث[٤].

وما أروع الحسن البصري رحمه الله يوم أن قال : لأن أقضي حاجة لأخي أحب إليَّ من عبادة سنة!

ولم أرَ كالمعروف أمَّا مــذاقه فحُلــوٌ وأمَّا وجهه فجميل

إنّ الذي يطلب العون قد يكون مظلومًا أو عاجزًا أو مكروبًا، وفي كلّ الأحوال فإنّ إعانته وقضاء حاجته فيها تفريج لكربته، وفي مقابل

(١) الطبراني (١٣٤٦٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٥٥)
(٢) البخاري (٦٧٤٣) ومسلم (٦٩٥١).
(٣) أحمد (١٨٥٦٩).
(٤) البخاري (١٤٤٥).ومسلم (٢٣٨٠).

ذلك تكفل الله لمن فرج كربة الملهوف أن يفرج عنه كربة من كربات يوم القيامة: "... ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة..."[١].

إنّ للاعتكاف فضلاً عظيمًا وأجرًا كبيرًا، كيف لا وقد فرَّغ المسلم نفسه لربه، وقطع علائقه بالدنيا، لكنَّ الذي يقضي حوائج النّاس أعظم أجرًا من المعتكف: «من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين»[٢].

ولأجل هذا المعنى لما أمر الحسن رضي الله عنه ثابتًا البناني بالمشي في حاجة قال ثابت: إني معتكف. فقال له: يا أعمش! أما تعلم أن مشيك في قضاء حاجة أخيك المسلم خير لك...».

إن إغاثة الملهوف وإجابة المحتاج والسعي في قضاء حوائج الناس لدليل على قوة الإيمان وصدق الإخاء. قال عليٌّ:

إنّ أخاك الحق من كان معك ومن يضرّ نفسه لينفعك
ومَنْ إذا ريب زمان صدَّعك شتَّت فيك شمله ليجمعك

إنّ أصحاب النَّجدة والمروءة لا تسمح لهم نفوسهم بالتّأخر أو التردّد عند رؤية ذوي الحاجات؛ فيتطوّعون بإنجاز وقضاء حوائجهم طلبًا للأجر والثواب من الله تعالى.

وانظر إلى الشهم الكريم نبي الله موسى عليه السلام، حين فرَّ هاربًا من بطش فرعون، وقد أصابه الإعياء والتّعب، فلمّا ورد ماء مدين ووجد النّاس يسقون، وجد امرأتين قد تنحيتا جانبًا تنتظران أن يفرغ الرّجال حتّى تسقيا، فلمّا عرف حاجتهما لم ينتظر منهما طلبًا، بل تقدّم

(١) البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٦٧٤٣).
(٢) الطبراني في الأوسط (٧٣٢٦)(٧/ ٢٢١) والبيهقي في الشعب (٣٩٦٥) وضعفه الألباني (في السلسة الضعيفة ٥٣٤٥).

بنفسه وسقى لهما: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (القصص: ٢٣، ٢٤). وهكذا أصحاب النجدة والمروءة يندفعون اندفاعا نحو المكرمات ومنها إغاثة الملهوفين وذوي الحاجات.

اقض الحوائجَ ما استطعت وكُن لهمِّ أخيك فارجا
فَلَخَيْرُ أيام الفتى يومٌ قضى فيه الحوائجا

أخي المسلم: هل تدري منزلة أولئك الذين يعينون الضعفاء غداً؟!

قال رسول الله ﷺ « من سرّه أن يظلّه الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه، فليسر على مُعسر أو ليضع عنه » [١]

فأين أنت أخي المسلم غداً من ذلك الثواب العظيم؟!

فهل يعجزك يا طالب الحسنات، أن تعين محتاجاً.. أو تغيث ملهوفاً؟!

هل يعجزك أن تمسح دمعة محزون بلقمة أو ثوب تقدمها له؟!

أخي :أما سمعت بقصة ذلك الرجل، الذي كان يخفف ويتجاوز عمّن اقترض منه؟!

أتدري كيف كانت نهاية قصته؟! فلتسمع القصة من أصدق الناس، قال رسول الله ﷺ : «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله، فتجاوز عنه»رواه البخاري ومسلم[٢] ، وفي رواية للبخاري: «فأدخله الله الجنة»[٣]

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الترغيب .
(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٦٣ (٧٥٦٩) و«البخاري (٢٠٧٨)، و«مسلم (٤٠٠٣).
(٣) البخاري (٣٢٦٦).

فتأمل هداني الله وإياك كيف نال هذا الرجل، ذاك الثواب العظيم، مع قلة عمله!

أخي :تَذَكَّر كم من المرات تجاوزت فيها عن معسر؟! ،أو كم من المرات أدخلت فيها السرور على قلب مدين لك، قائلاً: لقد عفوت لك ديني!

وما هـــذه الأيام إلّا مُـعارة فـــما اسطعـــت من معـروفها
فتزود فإنك لا تدري بأيّة بلدة تموت ولا ما يحدث الله في غد

وتأمل في هذه القصة، والتي تخبرك عن همة الصادقين في إغاثة الملهوفين أتى رجل صديقاً له فدق عليه الباب، فخرج الصديق، وقال له :ما جاء بك؟ قال: عليَّ أربعمائة درهم دين.

فوزن له صديقه أربعمائة درهم، وأعطاه إياها، ثم عاد وهو يبكي! فقالت له امرأته: لم أعطيته إذ شقَّ عليك؟!

فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي!!

فأين نحن أخي من هذه الأخلاق السامية؟!!

فكم في مجتمعنا من أولئك المحتاجين الذين لا يسألون الناس، ولا يمدون أيديهم، عفة ..وحياء.. فحريٌّ بأمثال هؤلاء أن يتفقدهم الناس.. ويكفونهم ذل السؤال..

وما أحسن ما قاله معمر رحمه الله: "من أقبح المعروف أن تحوج السائل إلى أن يسأل وهو خجل منك، فلا يجيء معروفك قدر ما قاسى من الحياء، وكان الأولى أن تتفقد حال أخيك وترسل إليه ما يحتاج، ولا تحوجه إلى السؤال".

ثم أخي هل تعلم أن من عباد الله من حبب إليه تفريج الكربات، حتى أن من سأله حاجة، فكأنما هو المحسن إليه!

لأن صاحب الحاجة، سبب في جلب الأجر والثواب إليك.. فهو محسن إليك من حيث لا تشعر!

عن الفضيل بن عياض :قال: ذكروا أن رجلاً أتى رجلاً في حاجة له، فقال: خصصتني بحاجتك، جزاك الله خيراً، وشكر له .

وقيل لأبي عقيل البليغ :كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه؟

قال: رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر !وحاجته إلى قضاء الحاجة أشدّ من حاجة صاحب الحاجة!

قال حكيم بن حزام : ما أصبحتُ و ليس على بابي صاحِبُ حاجةٍ إلاّ علمتُ أنّها من المصائب .

وكان السّلفُ لا يرون لأنفسهم فضلاً على صاحِب الحاجة ، بل يرون الفضل له حتى كأنّه هو المُحسنُ إليهم.

ومِـن خير الناسِ بين الورى رجلٌ تُقضى على يده للناسِ حاجات

الخاتمة

أيها الأخ الحبيب وياأيتها الأخت الفاضلة تلك هي مجموعة من الآداب والأخلاق التي دعانا إليها الإسلام وجسدها نبي الله ﷺ واقعا حيّا ، ومثالا كاملا سويا ، ولاتزال الأمة بخير ما أخذت بطريق سلفها في الآداب الإسلامية والأخلاق الحسنة الزكية ، فهلمّوا إلى شجرة الإسلام لنقطف من ثمارها ،ونروي شبابنا من عصير شرابها النّقي ، ونلبس لباس التقوى من أوراق شجرها الطّريّ ، ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ إن أردنا الفلاح والنجاح فعلينا بهذه المآثر وأمثالها ، وإلا فلنبك على تضييع هذه القيم ، والتي ماضاعت في مجتمع إلا خسر وندم، وخار بيانه وانهدم ؛ وتعالوا إلى البيان العذب من كلام الرب ، وهدي النبي ﷺ الرطب لنجني الأدب الراقي والخلق الزاكي .

فهرس المحتويات

١. بين يدي الإصدار ٧
٢. المحافظة على الأخلاق الإسلامية : ١٠
٣. الحياء : ١٠
٤. ليس من الحياء: ١٢
٥. أنواع الحياء: ١٣
٦. أولا : الحياء من الله: ١٣
٧. ثانيًا: الحياء من الملائكة: ١٤
٨. ثالثًا: الحياء من الناس: ١٥
٩. رابعًا: الاستحياء من النفس: ١٥
١٠. التّواضع : ١٦
١١. والتّواضع يكون في أشياء ، منها : ١٨
١٢. الكـرم : ٢١
١٣. الشجاعة : ٢٤
١٤. حقيقة الشجاعة : ٢٤
١٥. مواطن الشجاعة : ٢٥
١٦. كمال الشجاعة : ٢٦
١٧. الشجاعة من أخلاق الإسلام : ٢٧
١٨. ثمار الشجاعة : ٢٧
١٩. من أين تستمد الشجاعة قوتها : ٢٨
٢٠. من أشجع الناس ؟: ٢٨
٢١. أمثال وأمثلة في الشجاعة : ٢٩
٢٢. توقير الكبـــير : ٣١
٢٣. حث النبي ﷺ على احترام الكبار وفعل ذلك بنفسه : ٢٣
٢٤. الفزعة أو إغاثة الملهوف : ٣٦
٢٥. الخاتمة ٤٣